من (السبلت) إلى المهافيف.. رحلة الامنيات!!

*مسلحون يسرقون المهافيف ويقتلون بائعها

* السياح يبحثون عن الصناعات الشعبية والنساء منهم يفضلن (العلاكة)

سها الشيخلي

تهتم الشعوب بموروثها الشعبي لكونه خزيناً لذاكرة الاجيال، والصناعات الشعبية واحدة من تلك الموروثات التي تعكس الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفنية للشعوب.. إلا اننا نجد ان الصناعات الشعبية في طريقها إلى الزوال والاندثار حيث لم تول جهداً الحكومات السابقة ولا حتى اللاحقة في الحفاظ عليها والاخذ بيدها لتبقى ملتقى عشاق الفن الشعبي.. زيارتنا إلى احد معارض التراث الشعبي في الكرخ عكس لنا متاعب تلك المهنة وصمودها بوجه الاهمال تارة وبوجه الصناعات المعدنية البلاستيكية المتطورة تارة اخرى ولنبحث عن المهفة في اجواء شهر آب القائظة.. ولكن لم نجدها..!!

الفنان العراقي

انامل الفنان العراقي قد ابدعت سلالاً ومناضد واثاثاً قوامها خيوط بسعف النخيل وعيدان السعف المسماة (الجريد) نقف امام معرض التراث العراقي الذي تأسس في مطلع التسعينيات من القرن الماضي كما يقول وسام الشمري (قريب صاحب المعرض) وعندما يجدني ابحث عن ضالتي متلفتة يمنة ويسرة يسألني...

❖عن ماذا تبحثين؟

عن المهفة.. التي تحتاجها بيوتنا في الوقت الحاضر بعد الانقطاعات المتكررة للكهرباء.. وبعد ان هجرنا - السبلت - يكتسي وجه الشاب وسام الحزن فجأة ليقول:

-قبل يومين فقط استولت مجموعة من الارهابيين في طريق اللطيفية على - بيك أب - مملوءة بـ (المهافيف) وقد قتلت - مهند - ذلك الشاب الذي نتعامل معه في بعقوبة ليزودنا بالمهافيف..

هؤلاء هم الارهابيون.. لم تسلم منهم حتى - المهافيف!!

ونسأل

❖هل لكم ورش في بغداد..؟ ومن يعمل بها؟

-تأتينا مشغولة من مدن عدة منها الحلة، بعقوبة، خانقين، كربلاء، البصرة.

❖من هم الزبائن الاكثر شراء لديكم؟

-الاجانب، السياح، وخاصة النساء فهن يشترين - العلاكة - الملونة وقبعات الرأس المصنوعة من الخوص.

نتجول في المعرض لنشاهد - انواعاً من السلال وكراسي من جريد النخل مع (قنفات) وهناك - مخدة - خاصة لخبز الرغيف وقد غلفت بمادة الاسفنج واونٍ اخرى متباينة الشكل والحجم!

❖من الذي يقوم بعمل كل هذه الاشكال الملونة من السلال والاطباق والمزهريات؟

-العمال من الرجال والنساء وحتى الاطفال، وهذه السلال الصغيرة صارت لها سوق رائجة في الوقت الحاضر فهي تستعمل في الاعراس لتقديم الحلويات والمعجنات بعد ان تبطن بقماش الستان وتزين بالاشرطة الملونة وهي - موضة حديثة - وهذه السلال المتوسطة تستخدمها الفنادق لتقديم الخبز او الصمون وسعر الواحدة ٥٠٠ دينار.. وتلك السلال الاخرى يشتريها اصحاب معامل الحلويات والمعجنات وتغلف بالورق الملون فتكون جميلة المنظر، وهذه الاخرى اطباق يستخدمها باعة الزهور الاصطناعية لتكون قاعدة لتثبيت الزهور عليها.. وحتى الزهور الطبيعية تكون سلالها من مادة الخوص وهي خيوط سعف النخيل.

❖من هي الجهات التي تشتري منكم عادة غير الافراد؟

-في السابق كان ديوان الرئاسة يشتري منا اعداداً كبيرة من الاطباق - لا ادري ماذا يفعل بها!؟ - إلا اننا نزود الوفود المشاركة في المهرجانات الفنية والشعبية بحاجتها إلى هذه الصناعات الشعبية.. وقد شاركنا قبل سقوط صدام في ٩ / ٤ بمهرجان دمشق للفنون والصناعات الشعبية ولاقينا الاقبال الشديد من قبل زوار المهرجان والجالية العراقية هناك.

❖ما هي اعلى المعروضات سعراً... واقلها في الاسعار؟

-هذا نصف طاقم من قنفات الجريد - سعره (٢٥) الف دينار مكون من قنفة وكرسيين. وسعر هذه السلة الصغيرة ٥٠٠ دينار اما المهفة التي سرقت في طريق اللطيفية فسعرها ٢٥٠ دينارا وهذا - الزنبيل الكبير - سعره الفا دينار.. واقول لوسام هل تعلم ان كلمة - زنبيل - هي كلمة سومرية وهذا الزنبيل هو نفسه الذي صنعته الايادي السومرية..!

وبفضول يسألني وسام:

-وماذا بعد من الكلمات السومرية التي ما زالت تستعمل حتى الآن ومن ضمن التراث الشعبي..؟

انها - التبلية - تلك المعروفة لدينا الآن لتسلق النخلة - وكذلك - البلم - الذي نستخدمه لليسد على صفحات الماء..

احداث شارع حيفا

ولما كان المعرض من ضمن منطقة شارع حيفا التي شهدت احداثاً ساخنة - يحدثنا وسام عن تلك المدة الصعبة فيقول:

-تأثر العمل لدينا بشكل كامل وتوقفنا عن البيع لمدة تزيد على السنة والنصف عندما كانت المواجهات تجري في شوارع حيفا وفي المنطقة المجاورة.. إلا اننا لم نغلق المحل رغم عدم وجود الزبائن.. ولكن الحمد لله منذ ٤ اشهر رجعت الامور بشكل اعتيادي ونزاول عملنا الان بشكل مريح.. ومن جراء تلك الاحداث تعرض اخي الصغير إلى اطلاق نار ويشير إلى اخيه الذي كان معنا والذي لا يتجاوز عمره الـ ١٠ سنوات.. انه الآن بصحة جيدة بعد ان اخرجوا الاطلاقة من ساقه..

❖ما هي اكثر المواد طلباً هذه الايام؟

-والله - هي المهفة.. فهي - سبلت الساعات الطويلة التي لا ترى فيها الكهرباء.. فهي تأتينا ساعة واحدة ليلاً واخرى مثلها في النهار..

❖هذه الاطباق الملونة بشكل جميل.. هل تصبغ قبل العمل ام بعده؟

تصبغ خيوط الخوص قبل ان يبدأ العمل لتكون بهذه التشكيلة الجميلة..

❖رغم ظهور مواد صناعية من البلاستك والالمنيوم والفافون هل ما زال الطلب على الاطباق الخوصية كبيراً.. اقصد هل تنافسكم هذه الصناعات؟

-لا ابداً لكل مادة خصائصها.. فانت لو وضعت مثلاً التمر او الخبز في اطباق من البلاستك لتلفت بعد وقت قصير.. ولكن مادة الخوص تحافظ على المواد الغذائية لمدة اطول.. وان الكراسي والقنفات تكون باردة ومريحة اضافة إلى كونها جميلة.. ويشتريها اصحاب المقاهي التي تكون محطات استراحة في الطريق بين بغداد والمحافظات وبين القرى والقصبات وخاصة - سرير النوم - فهو مطلوب من الفلاحين واهل القرى لكونه خفيف الحمل وبارداً صيفاً كذلك الكراسي والمناضد المصنوعة من جريد النخل..

❖الا تخشى منافسة اواني البلاستك.. ومهفة البلاستك ايضاً؟

-البلاستك والفافون والفرفوي كل هذه المواد تنافسنا لكنها تصنع من خلال الماكنة ويتميز عملنا بانه نتاج اياد فنية مدربة وكفوءة.. ولكل من المواد المذكورة خصائص، هناك من يبحث عن الفن اليدوي وخاصة الاجانب فهم يتذوقون ويحبون المصنوعات الشعبية..

❖لنعد إلى المهفة.. هل ترى الاقبال عليها واسعاً هذه الايام بعد ان قطاعات الكهرباء؟

-بالتأكيد فهي البديل عن السبلت - الاخرس - وعن التبريد الصامت.. انها عودة إلى الطبيعة امنا الحنون فمن المهفة إلى السبلت مرحلة طويلة من التقدم التقني.. ولكن رغم ذلك فالهجرة المعاكسة من السبلت إلى المهفة املتها علينا ظروف قاهرة.. قد تقولين حتماً - مصائب قوم عند قوم فوائد - ولكن تأكدي انا ايضاً حزين لهذه الانتكاسة في حياتنا بسبب الكهرباء.

وعندما وجدت وساماً وقد تحدث بحزن عميق اردت ان اخفف عنه - البلوى - طبعاً بلوى الكهرباء.. فاقول له ادع معي ان يعود المكيف والسبلت إلى هديرهما فيقول ضاحكاً..

ان شاء الله..

في اسواق الكاظمية

في مدخل احد فروع سوق الكاظمية الكبير يجلس العم مهدي كرار عارضاً شتى انواع الصناعات الخوصية منها (العلاكة الملونة والزنبيل والكلوش) وكلها تستخدم لحمل الحاجيات وان اختلفت احجامها وكذلك اسعارها نسأل العم ابو كرار:

❖ولكن.. اين هي المهفة.. فالحاجة ملحة اليها هذه الايام؟

-لقد نفدت قبل دقائق. فالاقبال عليها شديد خاصة ان انقطاع الكهرباء مستمر..

❖لقد قصدت السوق لشراء المهفة.. قل لي يا ابا كرار من اين تأتيكم هذه المصنوعات واين هي ورشها؟

-هناك بيوت في الكاظمية تستخدم كورش لصنع المهفة والمكناسة والاطباق الملونة هذه.. كما توجد ورش اخرى في الحقول القريبة من بغداد وتستخدم فيها الايدي العاملة الماهرة ويعمل فيها النساء والاطفال عادة.. اما الاجور فهي وفق المهارة والشطارة.. إلا انها في الغالب مجزية..

❖هؤلاء العمال هل لهم حقوق عمالية.. الضمان مثلاً؟

-لا.. انهم عمال فحسب.. ويضحك ابو كرار ويقول لو سمعك احدهم لطالبني بـ (التقاعد).. انها غير خاضعة لشروط او قوانين العمل ذلك لان الصناعات الشعبية لم تصنف من باب المعامل لعدم وجود المكائن الخاصة، لان العمل يعتمد بصورة اساسية على المهارة اليدوية.

مهفة بسعر ٥٠٠ دينار

في سوق شلال في مدينة الشعب هناك امرأة تحتل الرصيف وتعرض مصنوعات شعبية مصنوعة من الخوص وجريد النخل وقفت لاسألها.

❖حجية.. هل لديك مهفة؟

-نعم.. ولكن لا ابيعها بالمفرد.. فانا ابيع ٦ مهافيف بسعر ٣ آلاف دينار.. اي سعر الواحدة (٥٠٠) دينار.

❖لو سمعك رجل مسن عمره (٧٠) عاماً لقال ان ذلك الجنون بعينه..!

-طبعاً.. منذ كان سعر الدار في الخمسينيات من القرن الماضي بسعر المهفة اليوم..!! لا تتعجبي فانا مثلاً عمري ٦٠ عاماً.. وقد كان مهري قبل ٤٠ عاماً ٥٠٠ دينار ايضاً.. الاسعار غير ثابتة وهي عرضة للارتفاع كل يوم وبشكل قد لا يصدق.

كنت انظر مشدوهة إلى طلاقة تلك المرأة وهي تتحدث عن (سعر العرض للدينار العراقي) وعلاقته بارتفاع اسعار المهافيف في صيفنا اللاهب.

تصوير: سميرهادي

الرأي الثالث

الازمة العراقية هل تحتاج إلى حل عربي؟!

اياد عطية الخالدي

ما زال الاخوة العرب يؤمنون ان مفتاح حل ازمة العراق في ايديهم، والزر الذي يوقف ماكنة القتل والارهاب الجهنمية ما زال هو الآخر تحت سباباتهم.

وان الارهاب والتدمير والقتل المجاني في العراق لا ينتهي من دون جرعة دواء مجربة المفعول من عندهم.

وان بغداد عاجزة عن حل مشاكلها الا تحت خيمة في عمان او دمشق او القاهرة او الرياض.

ولا يكتفي الاخوة العرب "جزاهم الله خيراً" بتبصيرنا وارشادنا إلى اسباب ازمتنا والارهاب الذي حل ببلادنا، بل قدموا لنا نحن العاجزين عن حل ازماتنا وصفة سحرية وجاهزية للحل الفوري الذي يوقف مجازر القتل اليومي ويريح البلاد والعباد من الارهاب وشروره.

بعد ان تمادوا ومنحوا لانفسهم الحق في تعنيفنا بحسب منطقهم..

منطقهم إلى مقاومين وغير مقاومين. وموالين وغير موالين، وطنيين وغير وطنيين، عراقيين وغير عراقيين وتستمر قائمة التصنيف العربية التي يريدوننا ان نوافق عليها ايضاً كجزء من تشخيص الازمة وصولاً إلى الحل..

الحل الذي وضعوا ايضاً هم خطوطه العريضة واولها ان تجلس الولايات المتحدة الامريكية وقاتلينا في مفاوضات، لتستمع إلى مطالبهم او شروطهم لوقف نزيف الدم العراقي، واعطائهم حصتهم وضمان عودتهم إلى السلطة وربما تعويضهم عما لحق بهم من اضرار جراء اسقاط نظامهم الدكتاتوري، ومن يدري فقد يضمن هذا الاتفاق عودة الامتيازات السابقة للاخوة العرب ومنها حصصهم المجانية من النفط العراقي.

اننا ايها الاخوة نعذركم فما زال هناك من قطع ثدي امه العراق وخاض في ارحامه ودمائه يشجعكم على مبادرتكم هذه وارتضى لنفسه ان يكون العوبة في ايديكم ومشروعاً لرغباتكم واحلامكم غير المشروعة وغير العادلة..

والاكثر من ذلك ان العديد من المسؤولين في بلادنا ما زال يطرق ابوابكم ويتوسل بكم المساعدات عبر زيارات متعددة بعضها غير مرحب فيها ببلادكم.. املاً منه برفع الاذى والمعاناة والظلم عن شعبنا.. لكن من دون جدوى.

واذا كنا نشاطر الاخوة الرأي بان الزر الذي يوقف ماكنة القتل والتدمير في العراق جزء كبير منه تحت سبابة يد عربية للاسف، وانهم بامكانهم فعلاً ان يساعدوا شعب العراق في تجاوز محنته وبناء دولته ليعيش امناً حراً ومستقلاً.

لكننا نرفض حلولهم، لانها بكل بساطة تريدنا ان ننسف كل ما تحقق من مكاسب ومنجزات على مدى عامين من مسيرة العملية السياسية في العراق، التي قطعت شوطاً كبيراً والتي من المؤمل ان تتوج بكتابة الدستور ولان هذه الحلول تستهزئ بارادة وحق شعبنا في تقرير مصيره وخياراته واهمها بناء دولة القانون والعدالة والحرية والديمقراطية.

ايها الاخوة اذا كان الحل ان نتخلى عن كل مكاسبنا ومنجزاتنا واسس دولتنا ودستورنا الذي سينجز قريباً باذن الله مقابل مساعدتكم لنا على وقف ماكنة الموت والارهاب والتدمير فاننا نرفض هذه الحلول، ولن نستبدل كل ذلك. بجولة مفاوضات تحت خيامكم المتهرئة التي لا تصلح الا للدسائس والمؤامرات واننا ندرك جيداً اننا اصبحنا بلداً شاذاً بمنظوركم عن المنظومة العربية، إلى اجل عسى الا يطول لان رياح التغيير قادمة لا محالة، وستزيل اوهامكم وظلمكم واستبدادكم ودكتاتوريتكم واستهزاءكم بارادة شعبنا وشعوبكم.

لاننا بلد ديمقراطي وشعبنا حر وحكومتنا منتخبة واننا الشعب الوحيد في المنطقة الذي يستطيع ان يغير حكومته باروع الوسائل الحضارية اي عبر صناديق الاقتراع...

وبقي ان اقول لكم ان الحقائق لا تطمس بالفهلوة والخداع والشعارات الكاذبة عن الوحدة والمصير المشترك الذي هو بالنسبة لنا هاجس انساني قبل ان يكون هاجساً اقليمياً، واننا نسعى الى ان نشارك العالم كله بتعزيز الوحدة والمصير المشترك واولهم انتم ايها الاخوة.

واطمئن بان حل ازمة العراق، لن يكون الا حلاً عراقياً وتحت خيمة الوطن في بغداد والنجف وسامراء واربيل والناصرية.

Ayia- ILilydy@yahoo.com